مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية
ISSN 2602-6201
المجلد03/ العـدد: 02 (2020)، ص 76- 89

تراث العربية ونظرية نوام تشومسكي التوليدية التحويلية
- بحث في المنهج والتطبيق-

Arab Legacy and Noam Chomsky's Transformative Generative Theory
Research in Curriculum and Application

الأستاذ لخضر روبحي*
جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر
Lakhdar.roubhi@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/04/05 تاريخ القبول: 2020/09/20 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:
يتناول البحث جوانب من النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي، وإسهامات علماء اللغة العربية القدماء في اللسانيات، وما انبثق عنها من تصوّرات للّغة ومناهجها. ركّزت على أهمّ النّقاط التي تجمع بين الطرفين، مع الفارق الزّمني بينهما، وفي ذلك إشارة واضحة لعبقريتهم وسبقهم في هذا الجانب، ثم أردفت الموضوع بدراسة تطبيقية للكفاية اللغوية، والتّنويه بالتّراث الزّاخر بالأبحاث من خلال مقاربة توضيحية لما جادت به القريحة العلمية في تشكيل العقل الإنساني.
كلمات المفتاحية: اللسانيات، النحو ، التوليد ، التحويل، التطبيق.

Abstract
The research deals with aspects of Chomsky's transformative generative theory, the contributions of ancient Arabic linguists to linguistics, and the conceivations of language and its approaches. I focused on the most important points that unite the two parties, with the time difference between them, and in that is a clear indication of their genius and their precedence in this aspect, And it added the subject with an applied study of linguistic sufficiency, and indicating the rich heritage of research through an illustrative approach to what the scientific thought has been serious about forming the human mind.
Keywords: linguistics, grammar, generative, transformation, application.

*المؤلف المرسل لخضر روبحي

1.مقدّمة:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أنّ اللسانيات علم انبثق من الحوض المعرفي الغربي، إذ لا يمكننا معرفة هذا العلم الجديد إلّا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الانجليزية و الفرنسية، و لا يمكننا أيضا إلّا أن نعترف بأنّ اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها. بيد أنّ هذا العلم-كما هو متّفق عليه بين الدّارسين- علم شمولي، يتناول جميع اللغات دون تفريق، بالاعتماد على الاستدلال العقلي والتّجربة، سواء بحث فيه الغربيون أم غيرهم سيّما أنّه مرتبط بالكائن البشري دون تخصيص أو تفضيل. ولذلك جاء موضوع بحثنا الموسوم بـ:"تراث العربية ونظرية نوام تشومسكي التوليدية التحويلية"- بحثا في المنهج و التطبيق- " للإجابة عن تساؤلات عدّة، منها: هل فعلا علم اللسانيات انبثق من الدّراسة الغربية؟ و أين نضع اجتهادات علماء آخرين كعلماء اللغة العربية؟ و إلى متى نظلّ نردّد نظريّاتهم – مع تحوّلاتها العديدة – دون غربلة أو تمحيص؟ ...

لهذا الغرض اتّبعت في هذا البحث منهجا يجمع بين المقارنة و الوصف و التحليل، بدراسة مبحثين أساسين، أمّا المبحث الأول فخصّصته لنظرية تشومسكي، بوادر ظهورها وجوانب تركيبها. والمبحث الثاني تناولت فيه تراث العربية في مجال الدّراسات النحوية، وخاتمة تضمّنت أهمّ نتائج البحث.

2.نظرية تشومسكي[1]التوليدية التحويلية: بوادر ظهورها و جوانب تركيبها:

2. 1 بوادر ظهورها:

- نقده للبنيوية:

ممّا لاشكّ فيه أنّ المنهج التوليدي التحويلي نشأ على أنقاض اللسانيات البنيوية، ذلك أنّ تشومسكي وجّه نقده للفكر اللغوي السلوكي باعتباره فكرا بنيويا، يرى منظّروه أنّ العقل البشري مجرّد لوح أملس فارغ من كلّ شيء ، والإنسان هو الذي يملؤه في حياته من خلال تجاربه وانطباعاته بالمعرفة اللغوية .

رفض تشومسكي ما تبنّاه ليونارد بلومفيلد *Leonard Bloomfield* صاحب أوّل نمط للبنيوية التوزيعية، وأوّل من طبّق في اللسانيات فرضيات السلوكيين. وكان يعتبر كلّ تصرّف من أجل التبليغ يفترض أن يرسل المتكلّم تحت تأثير (المثير) أصواتا تتطلّب ردّ فعل (استجابة)، وهو ما يعرف بمقياس (المنبه) و (الاستجابة) .أي أنّ البحث اللغوي يكاد يعامل الإنسان باعتباره (آلة) تتحرّك حسب قوانين تحدّدها مواقف معيّنة.

ومن أبرز الانتقادات التي وجّهها تشومسكي للبنيوية اعتمادها في التحليل ووصف الظاهرة اللغوية على مدوّنة محدودة، لا يمكن لها أن تحيط بكلّ الأشكال اللغوية في لسان ما. ولهذا حدّد تشومسكي

الخطوط الرّئيسة لنظريته اللغوية منذ تقديمه لأطروحة الدكتوراه بعنوان (التركيب المنطقي للنظرية اللغوية)، أبرز من خلالها حقيقة التوليد اللغوي.

فالإنسان لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير بالذكاء فحسب، ولكنّه يفترق عنه بقدرته على اللغة. وهذه الأخيرة هي أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، وليس من المعقول أن تكون مجرّد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من (المعنى) ومن (العقل) في هذا الوصف السطحي الذي صوّره فرديناند دوسيسر *Ferdinand de Saussure* أوّل هذا القرن.

فالقصور إذن واضح للاهتمام بالمادة اللغوية دون طرائق التوليد اللغوي ، لأنّ دراسة اللغة لا ينبغي أن تتوقّف عند هذا المنهج الوصفي، باعتباره (مستقلا) لا يتجاوز حدود المادة المباشرة، وإنمّا ينبغي أن تعيننا الدراسة اللغوية على فهم (الطبيعة) البشرية.

ويلفت تشومسكي الاهتمام بنظريته التوليدية التحويلية إلى الأطفال على وجه الخصوص، فهم –في سن الخامسة مثلا- يستطيعون أن ينطقوا كل يوم مئات الجمل لم ينطقوها من قبل، ويستطيعون أن يفهموا ما يقال لهم من (كلام) لم يسبق لهم أن سمعوه، ومعنى ذلك أنّ هناك أصولا (عميقة) في التركيب الإنساني تجعله يتميّز بهذه القدرة. وعلى اللغوي أن يبحث عن الأصول العميقة لدى الإنسان، وأن يضع في حسبانه أيضا (قدرته على اللغة).

وعليه فقد نشأ النحو التوليدي كردّ فعل على التيار السائد آنذاك، وهو البنيوية[2]، فهي تقدّم الدراسة اللغوية على ما يسمى بالمدوّنة اللغوية لا غير، وهي عبارة عن مجموعة محدودة من الملفوظات المنجزة، وهذه المدوّنة لا يمكن أن تمثّل اللغة، وإن حاولت. إذ البنيوية لا تهتم من اللغة إلا بجانبها الظاهر، أي ما يسميه تشومسكي البنية السطحية *surface structure* والتي لا تقدّم شيئا، و لا تقف على قوانين الطبيعة البشرية، والأهمّ أن نصل إلى البنية التحتية أو العميقة *deep or underlying structure*.

فهناك جانبان لا مناص من الاهتمام بهما معا لفهم اللغة الإنسانية، أمّا الجانب الأول فهو الأداء اللغوي الفعلي *actual linguistic performance*. وأمّا الجانب الثاني فهو الكفاءة التحتية عند هذا المتكلّم السامع المثالي، وهي التي تمثل البنية العميقة للكلام الإنساني *undertying compeetence*.

وبذلك استطاعت النظرية التوليدية التحويلية أن تعرّج بالبحث اللّساني من منهج متأثّر بمعطيات علم النفس السلوكي إلى منهج عقلي ، لا يكتفي بالجوانب السطحية للغة ، وإنّما لكشف النّقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني ، وتعليله وتفسيره ، بدلا من وصفه وصفا شكليا .

- **مراحل تطور النحو التوليدي:**

مّرت هذه النظرية بمراحل ثلاث[3]:

-تبدأ المرحلة الأولى في الخمسينات وتمتد إلى منتصف الستينات، وقد سعت النظرية التوليدية في هذه المرحلة أن تجعل من اللسانيات علما كسائر العلوم، ويمثل هذه الفترة كتاب تشومسكي (البنية المنطقية للنظرية اللسانية 1956).

-وتبدأ المرحلة الثانية من سنة 1965م إلى سنة 1970م، وفيها تعّرضت النظرية التوليدية إلى قضية لا تخلو معالجتها من حدة، وهي قضية الدلالة.

-وتمتد المرحلة الثالثة حتى يومنا هذا.

2.2 جوانب من النظرية اللسانية عند تشومسكي:

- **مبدأ الاكتساب اللغوي:**

إنّ خاصية الاكتساب اللغوي عند تشومسكي، مرتبطة أساسا بالمنهج التوليدي ككل، وهو (دراسة اللغة على أنها نظرية فيزيائية آلية بيولوجية تعمل داخل الدماغ البشري)[4]. لذلك يرفض تشومسكي النظرة الآلية إلى اللغة من حيث كونها عادة كلامية قائمة على المثيرات والاستجابات, وهي النظرة التي سادت فكر السلوكيين وقادتهم إلى القول بأنّ اللغة سلوك لغوي يستجيب لمثيرات خارجية، تخضع لسلطة البيئة بالدرجة الأولى. فالنحو التوليدي الذي جاء به تشومسكي هو نظرية لسانية قامت على انتقاد المنهجين البنيوي و التوزيعي في المقوّمات الوصفية المباشرة، باعتبار أنّ هذا التصور لا يكشف إلا الجمل المنجزة بالفعل، و لا يمكنه أن يفسّر عددا كبيرا من المعطيات اللسانية، مثل الالتباس و الأجزاء غير المتصلة ببعضها بعضا . فوضع هذه النظرية لتكون قادرة على إنشاء جمل لم يسبق أن وجدت أو فهمت على ذلك الوجه الجديد[5] . وأتى تشومسكي برأي مخالف مفاده أنّ الاكتساب اللغوي يكون عن طريق امتلاك الإنسان لمعارف لغوية تتضمن قواعد كلية. فهو بذلك يشرح اللغة ويعلّل أسبابها من الداخل وليس من الخارج، بمعنى أنّ الاكتساب اللغوي ناتج عن مقدرة الإنسان الفطرية، وقد أطلق عليها مصطح الكفاية اللغوية أو القدرة الإبداعية، وهي "المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلّم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري"[6].

- **مبدأ الإبداعية اللغوية:**

ويقصد بها مقدرة الإنسان على إنتاج جمل لا حصر لها دون أن يكون قد سمعها من قبل،"لأنّ التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلّمون, وإنّما شرح و تحليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة " [7] فبعدما كان الإنسان موصوفا بالتقليد والمحاكاة واجترار ما يسمعه من الصيغ اللغوية، أتى تشومسكي ليبطل هذا الزّعم، ويؤكّد أنّ

اللغة من أهمّ الأنشطة التي ينفرد بها الإنسان الذي لا يكتفي بتلفظ الصيغ التي التقطها سمعه فحسب، وإنّما يستطيع أن يولّد قدرا كبيرا من الجمل لم يسمعها قط، ويعبّر عنها بصورة غير متناهية من التراكيب. كما بيّن ذلك ميشال زكرياء بالقول:" أنّ اللسان كغيره من المعلومات البشرية ومضات إلهام في الأزل يصل إليها العقل الإنساني في هذه الحياة عن طريق الإلهام"[8]. وبذلك يكون تشومسكي نافيا أن يكون للبيئة دور في اكتساب الإنسان للغته.

- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

استفاد تشومسكي من تقسيم اللغة عند دي سوسير (لسان *language*) و(كلام *parole*)، فأطلق تشومسكي على لسان مصطلح الكفاءة (*compétence*)، وعلى كلام الأداء (*performance*).

ويرى تشومسكي أنّ اللغة ميزة إنسانية تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، وبفضلها يستطيع كّل إنسان إنتاج عدد غير متناه من جمل لغة بيئته، حتى وإن لم يسمعها من قبل، ويسمي هذه المقدرة على إنتاج الجمل وتفاهمها بـ (الكفاية اللغوية) [9]. وهي بذلك المعرفة الحدسية الضمنية للغة، والقدرة على توليد الجمل وفهمها، وعلى التمييز بين صحيح الكلام وسقيمه، أي بين الجمل النحوية والجمل اللانحوية.

أمّا الأداء أو الإنجاز فهو التجّسد المادي لنظام اللغة في إحداث الكلام، فهو خروج الكفاءة اللغوية من حيّز القوّة إلى حيّز الفعل ضمن سياق معيّن. ومن خلال الأداء الكلامي يستعمل المتكلّم بصفة طبيعية القواعد الكاملة ضمن كفايته اللغوية. وهذا مابيّنه ميشال زكرياء بقوله : "فالأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للّغة ضمن سياق معيّن، وفي الأداء الكلامي يعود متكلّم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفاءته اللغوية كما استعمل اللغة في مختلف ظروف التّكلم، فالكفاءة اللغوية بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"[10].

- البنية العميقة والبنية السطحية:

بالإضافة إلى الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، تعتمد النظرية التوليدية التحويلية على ركيزة البنية العميقة والبنية السطحية. فأما الأولى فيقصد بها ذلك المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم، ومقياسه هو الكفاية اللغوية. وأما الثانية فتعني ما ينطقه الإنسان فعلا، وهي تظهر من خلال الأداء الفعلي للكلام.

وتتميز البنية العميقة بما يلي:

-إنّها البنية المولدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية.

-تمثّل التفسير الدلالي للجملة.

- يمكن لها أن تحول بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية.

أما البنية السطحية: فميزتها أنّها نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكون التركيبي، أي هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا. فهي بذلك ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة.

ويتألف المكوّن التركيبي من مكونين:

-مكوّن أساسي (*composant de base*) ويرتبط بالبنية العميقة.

-مكوّن تحويلي (*composant transformationnel*) يرتبط بالبنية السطحية.

فهناك جانبان لا مناص من الاهتمام بهما معا لفهم اللغة الإنسانية عند تشومسكي ألا وهما:

الأول: الأداء اللغوي الفعلي (*actuel linguistique performance*) وهو يمثل ما ينطقه الإنسان فعلا، أي: يمثل البنية السطحية للكلام الإنساني.

الثاني: الكفاءة التحتية وهي البنية العميقة للكلام.

وهذان المصطلحان يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند تشومسكي، لأنّ الأداء أو السطح يعكس ما يجري في عمق التركيب من عمليات.

وعليه فإنّ أهم الأفكار التي بنيت عليها النظرية التوليدية التحويلية تتمثل في:

-دراسة اللغة تتطلب معرفة طبيعة العقل البشري و كيف يعمل، و معنى هذا تحديد تركيب اللغة بتركيب العقل الإنساني.

-اللغة قادرة على إنشاء جمل غير متناهية العدد، بينما وحداتها الصوتية و المعنوية وقواعدها محدودة

مبادئ النحو التوليدي التحويلي:

1-التوليد: وهو القدرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل انطلاقا من العدد المحصور من القواعد في كلّ لغة، و تمييزها عن كلّ ما هو غير سليم نحويا.

2-الملكة: وهي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته، وتبقى راسخة في ذهنه، لتمكّنه فيما بعد من إنتاج العديد من الجمل التي لم يسمعها من قبل، إنتاجا إبداعيا، ثم تمييز بينما هو سليم نحوي و بين غيره .

3- التأدية: وهي الاستعمال الفعّال للغة في مواقف معينة.فإذا كانت الملكة معرفة بقواعد اللغة، فإنّ التأدية انعكاس مباشر لها.

4-الحدس: ومعناه القدرة التي تسمح لمتكلم اللغة التمييز بين الجمل الصحيحة من غيرها

5- السلامة اللغوية: ومعناها التمييز بين الجمل النحوية و غير النحوية، فالأولى مجارية لمقاييس النظام اللغوي الخاضعة له، أما الثانية فما كانت منحرفة عن مقاييس اللغة

6- الإبداعية : تتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من الكلمات و القواعد الثابتة في ذهن المتكلم.

7- فالكفاية اللغوية والأداء اللغوي في نظر تشومسكي، هي امتلاك المتكلم السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جدا من الفونيمات الصوتية. ولننظر إلى المثالين التاليين:

المثال الأول: - جاء المعلم المكلّف بالتدريس.

- جاء المعلمون المكلّفون بالتدريس.

فاختيار المدخل اللساني (جاء) يحيل على كلمة (معلم)، و(المعلمون) تحيل على (المكلفون). وكل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر أو الألفاظ التي سبق اختيارها مباشرة.

المثال الثاني: يشرح المعلم الدرس بقلم يكتب بها على السبورة.

تتكون هذه الجملة أصلا من ثلاث جمل أصولية (نواة)، وكلّ واحدة منها تظهر معنى عقليا في ذهن المتكلم، وهي:

- يشرح المعلم الدرس.
- يكتب المعلم بالقلم.
- يكتب المعلم على السبورة.

وهذه الجمل الأصولية الثلاث تتأصل من عناصر رئيسية، هي (المعلم، الدرس، السبورة، القلم)، فهذه الكلمات هي البنية العميقة التي تمثّل الكفاءة في تمثّل الأداء للبينة السطحية.

3. تداخل نظرية تشومسكي مع تراث العربية في مجال الدراسات اللغوية:

تراث العربية تراث لغة وبيان، فقد "اتّسمت قبل كل شيء بالمقوّم اللفظي، حتى كاد التاريخ العربي يتطابق و تاريخ اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين منهم منذ مطلع نهضتهم"[(11)] قادهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه الظاهرة البشرية إلا مؤخرا، بما يبعث على الإعجاب والإكبار. اهتدوا إلى أدق جزيئات البحث اللساني، وكل إغفال لها هو من ضعف الذاكرة، لأنها تبدي إعجابها بتعريفات الدارسين المعاصرين للغة، وبالنتائج المترتبة على تعريفاتهم رغم تحوّلاتها العديدة، بينما تنسى ردّ الاعتبار إلى اجتهادات اللغويين القدامى في هذا الشأن، و التي

حازت السبق في الكثير من القضايا و المباحث اللغوية، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث.

وهذا عرض إجمالي نبرز من خلاله أوجه الإئتلاف بين الأسس التي اعتمدت عليها النظرية التوليدية التحويلية، و بين القواعد النحوية التي أرساها علماء اللغة قديما، نعرف من خلالها أسبقية علماء اللغة القدامى في البحث اللساني إجمالا، وهذه بعض الملامح :

1.3صدور كلّ منهما على أساس عقلي:

ممّا لا شكّ فيه أنّ تشومسكي قبل أن يؤسّس لنظريته اللسانية، عمل على الاستفادة من منجزات التراث الفلسفي و العلمي. فقد اتخذت نظريته من منهج (ديكارت) الفلسفي أساسا لها في فهم وتحليل الظاهرة اللغوية، وذلك من خلال تفريقه بين الحيوان و الإنسان في الطابع الإبداعي و الخلاق في اللغة، يقول ديكارت في هذا الصدر:"لا يوجد كما هو جدير بالملاحظة أي إنسان مهما بلغت درجة بلادته أو غباوته إلا و يستطيع أن يركب كلمات متنوعة في تركيب واحد، وأن يؤلف خطابا يعبر من خلاله عن أفكاره، وعلى العكس من ذلك لا يوجد حيوان آخر يقوم بذلك"[12]. فهو بذلك يتخذ من منهج ديكارت القائم على العقل، أساسا له في فهم و تحليل الظاهرة اللغوية، إذ اللغة ما هي إلا وحدة من وحدات العقل.

استفاد تشومسكي من التراث الفلسفي العقلاني، فسعى إلى بناء نظرته إلى اللغة على أساس علمي بعد أن وقف على نظريات سابقة ،وهذا ما بيّنه تمام حسان بالقول:"النحو التحويلي قد انسدل من النحو التوزيعي مع التنويه أن تشومسكي وازن بين تعاليم بلومفيد و هومبولت و دي سوسير ومنطقية بوريال والمنطق الرمزي و علم النفس منتهيا بالعقلانية في فهم اللغة "[13].

أمّا ما يدلّ على تأثّر تشومسكي بالتّراث العربي في الجانب العقلي، فنبرزه في الجوانب التالية:

1- التعليل النحوي: فالنحو العربي –كما هو معلوم- أقيم على مرتكزين أساسين هما: السماع والقياس، وهذا الأخير قائم على أركان ألا وهي: المقيس، والمقيس عليه، العلة والحكم. فالكثير من الأحكام النحوية خضعت للتعليل، ومن ثم وسعت في المادة النحوية، وكل ذلك كان بفضل الاجتهاد العقلي، فمثلا كل ما دلّ على حرفة يكون مصدره على (فِعال) وفي ذلك توسع واضح لكل المصادر الدالة على حرف جديدة. يقول عبد القادر المهيلي:"أنّ ذلك يستلزم أن يعتدّ التعليل جهازا تفسيريا يهدف إلى الكشف عن نظام اللغة الداخلي، وهو ما يؤدي إلى القول بأنّه ينبغي للباحث ألا يتوقف عند السطح الخارجي للظواهر اللغوية، بل عليه أن يتجاوزه إلى العمق حتى يتمكن من تحقيق بغيته في تأصيل الخصائص العامة للغة"[14].

2- العامل النحوي: لم يكثر حديث عن قضية من قضايا النحو العربي كما كثر عن العامل النحوي، لما له من علاقة بالجانب العقلي، فقد خاض في موضوعه النّحاة قديما وحديثا . و إنّ النّاظر إلى ما جاء به تشومسكي يجد أنّ نظرية العامل تمثّل ذروة ما وصل إليه من نتائج، كما أنّ خاصية التحويل عنده تتشابه في كثير من أركانها مع ما ورد في النحو من قواعد الحذف، و الاختصار، و الزيادة، و التوسع و الترتيب...الخ

3- الحذف: يعتبر الحذف فنا من فنون القول، ويشترط لتأديته أن تكون في الكلام قرينة دالة على المحذوف، وقد توسّع فيه النحاة كثيرا لما له من علاقة بالتركيب النحوي والدلالة على المعنى، ومن صوره: حذف الاسم، حذف الفعل، حذف متعلق بالفعل، حذف الحرف، حذف الجملة.فمثلا: إن سأل سائل: من قدم ؟ وأجيب: محمد، فانّ كلمة (محمد) في سياقها تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فهي جملة توليدية فعلية حذف ركن من أركانها وهو (قدم)، فصارت تحويلية فعلية لغرض الإيجاز، وهذا التقدير مبني على جانب عقلي. وضمن خاصية الحذف نجد أسلوب الاختصاص، وأسلوب المدح والذّم وغيرهما.

4- الأصل والفرع: تعد قضية الأصالة و الفرعية من أبرز القضايا التي اهتمّ بها النحاة العرب، فذكروا مجموعة من الأصول، و جعلوا ما يقابلها فروعا، كقولهم أنّ المفرد أصل للجمع، وأنّ النكرة أصل والمعرفة فرع، و أنّ المذكر أصل للمؤنث... ويقابلها عند تشومسكي ما يعرف بالبنية العميقة والسطحية، فينظر إلى الأصلية على أنّها التركيب الباطن، أمّا الفرعية فهي التركيب السطحي، و هذان المصطلحان من أقوى الركائز في النظرية التحويلية.

والجملة عند النحاة العرب ذات بنيتين:عميقة هي الأساس، وسطحية ناتجة عن العميقة بعد عملية التحويل، أي مبدأ الأصل والفرع عند النحاة القدامى،كجعل صيغة المبني للمعلوم أصلا للمبني للمجهول،وصيغة الفاعل أصلا لنائب الفاعل، والجملة البسيطة أصلا للجملة المركبة عند التمدد بين العمليات التحويلية الموجودة في النحو العربي.

5- التمدد أو التوسع، ومن أمثلته تمدد المبتدأ والفاعل. وكذا الزيادة أو الإقحام، كالزيادة لغرض التوكيد. و أيضا إعادة الترتيب (التقديم و التأخير)، كتقديم الخبر على المبتدأ وجوبا، و تقديم المفعول به على الفعل وجوبا أو جوازا...الخ

6- التنغيم : للتنغيم أثر في تحويل التراكيب اللغوية وما يمكن أن يحقق من أغراض للمتكلم، فلكلّ بنية وظيفة محددة، حيث أنّ البنية السطحية تقدّم التفسير الصوتي للغة،لتعبّر البنية العميقة عن الوظائف القاعدية التي تقوم بمهمّة تحديد التأويل المعنوي والتفسير الدلالي، ولتوضيح هذا العنصر التحويلي في اللغة العربية، نأتي إلى الجملة التالية : (كتب التلميذ الدرس)، نقرأها بنغمة مستوية،

ويمكن أن تتحول بنغمة صوتية صاعدة تفيد الاستفهام، وبنغمة صاعدة جدا مع نبر إحدى كلمات الجملة تفيد معنى الدهشة و الإعجاب. فالجملة في وضعها الثاني و الثالث جملة تحويلية فعلية ،جاء التحويل فيها باستخدام النغمة الصوتية للوصول إلى معنى بعينه.

2.3 الجانب التطبيقي في المقاربة:

في اعتقادي هناك مقاربة تطبيقية واضحة بين التراث اللغوي العربي والفكر اللساني الغربي، ممثّلا في النظرية التوليدية التحويلية التي أرسى دعائمها "تشومسكي"، فالمتصفّح للنحو العربي يجد أنّ النّحاة أشاروا فعلا في مصنّفاتهم إلى قواعد التحويل، إلا أنّهم لم يستعملوا المصطلحات الغربية الحديثة ذاتها، وكانت الإشارة إليها بتعابير مختلفة ، كقولهم : " أصله كذا " أو على " تقدير كذا " ...وهي تعابير تعني أنّ هناك بنية عميقة وراء بنية سطحية . وتعبيرهم عن التحويل بتوظيفهم: للترتيب ، والاستبدال ، والزيادة، والحذف...الخ .ولعلّ خير شاهد على هذا التّأثّر ما صرّح به" مازن الوعر" بقوله في حديث مع تشومسكي : "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة، كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلّقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدّة سنوات خلت، وكنت أدرس هذا مع الأستاذ "فرانز روزنتال"، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"[15]، وهذه بعض الملامح الدّالة على ذلك:

- تقارب نظرية تشومسكي مع نظرة الخليل بن أحمد (ت175ه) للّغة: لقد كانت طريقة الخليل في معجم العين مبنية على الحصر والإحصاء، حدّد من خلاله أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل بطريقة رياضية علمية. وكان من أوائل النحاة الذين أرسوا فكرة العامل النحوي . وقد وفّق في دراسته هذه دونما حاجة إلى تعديل، إذ درس الكلمة كوحدة معجمية منتمية إلى نظام، لها خاصيّة دلالية معيّنة ، ذلك أنّ "الوجه الدّالي بمكونيه الصوتي والصرفي غير كاف وحده لتكوين الدليل اللغوي ، بل لابدّ من ارتباطه بوجه مدلوليّ ليكون الدليل دليلا بحق"[16].

-تقارب نظرية تشومسكي مع نظرة عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه): ربط تشومسكي اللغة بالجانب العقلي، وهذا الطرح جسّده الجرجاني حينما تحدّث عن نظرية النّظم، وتشابه فيها مع فكرة التحويل والتوليد. وهو يرى أنّ النّظم يتوقّف على معاني النحو،فهناك ارتباط بين النظم والنحو، وبين النظم واللفظ والمعنى، مبرزا في ذلك العلاقة القائمة بين اللغة والفكر، قال:"فليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله..."[17]، معتبرا بذلك الجملة هي الوحدة اللغوية الأساسية التي يقع من خلالها التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة، أي بين النحو والدلالة. فهذا النظم يتراوح بين ثلاث دلالات رئيسة: فهو يدل على عملية

إنشاء الخطاب وتوليد الدلالة وتنظيمها وبنائها، ويدل على نحوية الخطاب واتّساقه، ويدل في الأخير على عملية تحقيق الأدبية وتناسق الدلالة. كما تحدّث أيضا عن التحويل والزيادة في قوله : "لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك".[18] وخاض في أسرار الحذف وما فيه من دلائل التحويل، في مثل قوله : "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فانّك ترى به ترك الذّكر،أفصح من الذّكر. والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن" [19]. وبذلك كانت نظرية النظم عملية توفيق بين الشكل المادي للصياغة والجانب العقلي للمعنى عبر الاستعانة بالنحو وتحويله إلى أحداث .

- تقارب نظرية تشومسكي مع نظرة ابن خلدون (ت 808 هـ) : أشار ابن خلدون في معرض حديثه عن اكتساب اللغة إلى أنّها ملكة يكتسبها الإنسان، ومنه قوله:"إعلم أنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانيّ ، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان . وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد ، لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني ..." [20] ومعلوم -كما تمّت الإشارة من قبل – أنّ الكفاية اللغوية عند تشومسكي ملكة ذاتية تخص متكلّم اللغة، ويعبّر عنها ابن خلدون في أنّها موجودة في الدماغ، فهي ليست سلوكا كما ذكر علماء النفس السلوكيون. وبذلك يؤكّد ابن خلدون أنّ الملكة اللغوية ليست صناعة العربية ، وفي هذا التفريق أيضا ما يدلّ على التقارب من تعريف تشومسكي للكفاية اللغوية والأداء اللغوي .

وفي الأخير وبعد هذه النظرة الفاحصة للأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين والقواعد النحوية التي أرساها علماء اللغة القدامى، ينبغي أن نقدّر الفكر اللساني حقّ التقدير، ونقرّ بفضل اللغويات العربية على اللسانيات الحديثة، فقد كانت حلقات أساسية في الفكر اللساني الغربي،كما كان لها" فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللغوية، التي توصّلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث"[21].

وممّا يلفت النظر إليه أيضا في النظرية التوليدية التحويلية هي التحوّلات الكبرى التي مرّت بها، بين غياب تام للحديث عن العلاقة بين النحو و الدلالة في (مرحلة البنى التركيبية)، و ظهور ما سمّي بالمكوّن الدلالي في (جوانب من نظرية النحو). إضافة إلى التصوّر التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني سواء مع رائد اللسانيات الحديثة "دي سوسير" الذي حصر موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام و التأدية، أو "تشومسكي" الذي قصر مجال دراسته في القدرة اللغوية دون الكلام،

وفصلها عن مستخدميها، وكان ذلك سببا واضحا في انتقاد نظريته، وظهور اتجاه لساني جديد يعرف باللسانيات التداولية.

يقول هايمس منتقدا تشومسكي:" إنّ نظرية تشومسكي القائمة على توليد الجمل اللغوية المختلفة صحيحة تماما إذا كان المقصود منها وصف اللغة ككيان مستقل بذاته بعيدا عن المواقف الاجتماعية و الحياة التي تستخدم فيها اللغة، ولكن اللغة لا قيمة لها ككيان مستقل، فهي ليست قوالب و صيغا و تراكيب مقصودة لذاتها، و إنّ ما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة، كالطلب و الترجي و الأمر و النهي...و غير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية "[22].

4.خاتمة:

انتهى البحث إلى نتائج عامة وأخرى خاصة.فمن العامة، لعلّنا لا نتجاوز الحقيقة حين نؤكّد أنّ في تراثنا العربي إسهامات واضحة في مجال البحث اللساني، فقد وضع علماء اللغة أصولا و أسّسوا مفاهيم تشبه إلى حدّ كبير التّصوّرات اللسانية الحديثة.

أمّا الخاصة فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- المتتبّع للمسار التاريخي لنظرية تشومسكي، يجدها قد مرّت بمراحل عدّة عرفت خلالها العلامة اللسانية تحولات جريئة، بدءا من الإبداعية وختاما بالمكوّن الدلالي. وهذا يدّل دلالة واضحة على أنّ العقل الغربي يراجع نفسه حتى داخل النموذج الواحد.
2- اعتبار العربية لغة كباقي اللغات الطبيعية، تشاركها في العديد من الخصائص والمكوّنات.
3- أتت التوليدية التحويلية في ثوبها العقلاني الفلسفي لتعيد للدّرس اللساني العربي جوهره الفكري، انطلاقا من سعي هذه النظرية إلى وضع قواعد لغوية تشترك فيها جميع اللغات.

5.الهوامش:

1- وُلد أفرام نعوم تشومسكي في السابع من شهر ديسمبر سنة 1928م، في فيلادلفيا، بنسلفانيا.في عام 1945 ، التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس الفلسفة والمنطق واللّغات. خلال سنوات دراسته الجامعية، التقى باللغوي المولود في روسيا زيلينج هاريس الذي ألهب في شباب نعوم اهتمامًا بالغًا باللسانيات النظرية. كما تطور اهتمام تشومسكي بالفلسفة بفضل وصاية نيلسون غودمان. حصل تشومسكي على درجة الماجستير في عام 1951.

قدّم نعوم تشومسكي رسالة الدكتوراه في التحليل التحويلي في جامعة بنسلفانيا وحصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1955.شغل منصب أستاذٍ زائر في جامعة كولومبيا في 1957-1958،و عيّن كمتحدثٍ في المؤتمر الدولي التاسع للغويين الذي عُقد عام 1962 في كامبردج، ماساتشوستس. عزز ذلك سمعته الدولية.

مؤلفاته: إنّ الجهود التي قام بها تشومسكي في سبيل بناء نظرية لغوية شاملة، ومقوضة لما سبقتها من نظريات، كان لابدّ أن تسفر عن مؤلفات تترجم فكره وتوثقه، وهي مؤلفات صدرت في فترات زمنية متقاربة، من أبرزها:

- البنى التركيبية *Les structures syntaxique* سنة: 1957م.
- البنية المنطقية للنظرية اللسانية *La structure logique de la théorie linguistique* ألفه سنة 1955م، لكن صدوره أجل إلى سنة 1975م.
- ملامح النظرية التركيبية *L'aspect de la structure syntaxique* سنة: 1965م.
- اللسانيات الديكارتية *La linguistique cartésienne* سنة: 1966م.
- الأنماط الصوتية في اللغات الإنجليزية*Les types phonologiques de la langue anglaise* سنة:1968.

هذا إلى جانب أعمال علمية أخرى تنمّ عن سعة علمه واطّلاعه.

2- ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية،2000م، ص334.

3-ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص333.

4- صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002، ص 79

5- محمد الصغير البناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2001، ص 76.

6- مازن الواعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، درا الملايين، دمشق، ط1، ص116.

7- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، د.ت ص 119 .

8- ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982م، ص10.

9- ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ، دار النهضة العربية، للطباعة و النشر بيروت، 1979م، ص112.

10- ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص33.

11-عبدالسلام المسدي، التفكير اللساني، الحضارة العربية، ص 24.

12-عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج, ص 121

13-حسان تمام ،اعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، بحث نشر في ندوة اللسانيات و اللغة العربية, العدد 4 ، و الجامعات التونسية 1978 ص 171.

14- عبد القادر المهيني، التعليل ونظام اللغة، حوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983م، ص176-177.

15- مازن الوعر، لقاء مع نوام تشومسكي، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد 1982،6م ، ص72.

16- إبراهيم مراد ، مسائل في المعجم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ص20.

17- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مكتبة علي صبيح، القاهرة، ط06، 1960، ص81.

18 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 146 .

19– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 146 .

20 – ابن خلدون ، المقدمة ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ،1982 ، ص 546 .

21- ينظر :حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة،1994 ، ص7.

22-نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية وتعلمها، نقلا عن : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، أطروحة دكتوراه ، مخطوط، 2005-2006، جامعة منتوري، قسنطينة.

6.المراجع:

1-إبراهيم مراد ، مسائل في المعجم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1997م.

2-أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، د.ت.

3-حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة،1994.

4-حسان تمام ،اعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، بحث نشر في ندوة اللسانيات و اللغة العربية, العدد 4 ، و الجامعات التونسية 1978م.

5-زكرياء ميشال ، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982م.

6-صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002م.

7-عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر بيروت، 1979م.

8-عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ،1982 م.

9-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، الحضارة العربية،تونس،1986م.

10-عبد القادر المهيني، التعليل ونظام اللغة، حوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983م.

11-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مكتبة علي صبيح، القاهرة، ط06، 1960م.

12-مازن الواعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، درا الملايين، دمشق، ط1،دت.

13-محمد الصغير البناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2001م.

14-نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية وتعلمها، نقلا عن : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، أطروحة دكتوراه ، مخطوط، 2005-2006م، جامعة منتوري، قسنطينة.

15- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية،2000م.